

عوامر أبو ظبي

دراسة تاريخية ميدانية لحياة البدو الاقتصادية

جمال محمود حجر^(١)

تتنوع البيئة في دولة الإمارات بين الصحراء والجبل والبحر، ويتمركز سكان الإمارات بصفة عامة في إقليمين رئيسيين هما: الإقليم الساحلي الشمالي حيث المدن والمراكز العمرانية الرئيسية؛ والإقليم الداخلي حيث الواحات ومناطق التجمع حول مياه الآبار. وبين هذه البيئات المختلفة توزعت القبائل فمارست أنشطة اقتصادية واجتماعية ترتبط بطبيعة المكان الذي تستوطنه. والقبائل البدوية الظببية، التي عاشت حياتها في مناطق الرمال الداخلية من إمارة أبوظبي، كانت أقل احتكاكا بالعالم الخارجي، وأكثر التصاقا بعالم البداوة والصحارى الداخلية، فحافظت على تقاليد البادية وتراثها، وتمتعت بحياة بدوية أصيلة لم يدخل عليها أى من المؤثرات الخارجية. وظل الحال هكذا إلى وقت قريب، حين تشكلت الدولة الحديثة وانفتحت على العالم الخارجى ككيان كبير متماسك، يلعب أفراده أدوارا متكاملة فى مجتمع حديث بقدر ما يتوافر لهم من فرص، وبقدر ما يُظهرون أنفسهم من كفاءات، وخاصة الشباب، الذى نشأ فى ظل الحداثة، وسمع الكثير من حكايات الآباء والأجداد عن ثقافة مجتمعات البادية، ولكنه لم يعيش التجربة على عمقها وروعيتها، التى تُجسد تحدى الإنسان لقسوة البيئة وشح عطائها.

أما الجيلان السابقان على جيل الشباب الحالى، والذى يمثل الآباء والأجداد، فإنهما لا يزالان (٢٠٠١م) يحاولان التوفيق بنسب متفاوتة بين الأصالة التى اكتسبها من الحياة البدوية، والمعاصرة التى يعيشونها فى الحياة الحديثة. ولا يخلو الأمر من أن يكون بين أبناء القبيلة من لا يزال يعيش حياة البادية، فيتمسك بأنشطتها وثقافتها، ويلقنها للأجيال المعاصرة، باعتبارها تراثا ثقافيا للمجتمع الجديد، يستحق أن يسان، وأن يبقى، بل وأن يمارس. هذا التناغم الثقافى والاجتماعى بين الأجيال يشكل خيوط السدى واللحمة فى

(١) أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الإسكندرية.

نسيج المجتمع الإماراتي، وتظهر ملامحه المادية في الخيام البدوية المنصوبة داخل أسوار البيوت، باعتبارها ملتقى اجتماعيا وثقافيا، بما يُمد فيها من موائد، وما يدور داخلها من سؤالف، إلى غير ذلك من مناخ البادية الثقافي، إنه التراث.

وقد قدر للباحث، الذي عاش في الإمارات ما يزيد على خمس سنوات، أن يكون رصيذا ثقافيا واسعاً عن التطور التاريخي لقبائل الإمارات، فلمس بوضوح من خلال لقاءاته بطلابه في الجامعة، وزياراته لعناصر من أبناء القبائل أهل الصحراء والرمال (كالعوامر في مواطنهم بالعين والمناطق القريبة منها مثل: الساد واليحر والزعلة وسويحان وزاخر ومدينة زايد، وغيرها في عام ٢٠٠١م) مدى تمسك أبناء القبيلة بعاداتها وتقاليدها البدوية الأصيلة. ورغم أن عددا كبيرا من أبناء القبيلة انفتح على الحياة العصرية في الدولة الحديثة وشغل مناصب عليا فيها، إلا أن ثقافة البداوة لا تزال تجرى في عروقهم. إنهم يشكلون ذلك الجيل الذي يحاول التوفيق بين الأصالة والمعاصرة في الحياة اليومية، فتمسكوا بالتراث بكافة صوره وأشكاله، وانفتحوا في الوقت نفسه على إمكانيات الحضارة الحديثة ومقوماتها. وقد انسجم تفاعل القبيلة مع توجهات الشيخ زايد في الجمع بين الأصالة والمعاصرة تفاديا لمخاطر التحول المفاجئ الذي تحدثه الطفرة الاقتصادية.

وقد نجح الشيخ زايد بهذه السياسة في توطين القبائل، والارتقاء بمستوى معيشتها، واستنفارها للمشاركة بدور حيوى وفاعل في تكوين الدولة الحديثة، وتأكيد الهوية الوطنية، وتغليب النعرة القبلية، ومعايشة العصر بكافة إمكانياته ومتطلباته، دون إفراط أو تفريط، إذ يستطيع الزائر أن يلمس في يسر المعيشة الواضحة بين الأصالة والمعاصرة؛ الأصالة متمثلة في التراث الشعبى، والمعاصرة التي تحياها الأجيال الجديدة بكافة مباحثها، دون تغليب لجانب على الآخر، تفاديا للعجز عن مسايرة العصر من ناحية، وتفاديا للوقوع في سلبيات الطفرة الحضارية من الجهة الأخرى.

فلا استمرار مع الماضى أمر واقع، لأن الماضى يعيش بداخلنا ويظهر فى ثقافتنا، والتواصل معه هو الشكل الطبيعى لكنينة المجتمع وثقافته عبر الزمن. وهذا الموقف يحمى دولة الإمارات من الانزلاق إلى تجارب الآخرين غير الملائمة، أو الوقوع فى النتائج السلبية للطفرة. ولم يكن ذلك أبدا معوقا بأى حال لحرص الشيخ زايد على أن يكتسب أبناء الإمارات خبرات جديدة من خلال التفاعل مع الآخر، وهو بذلك يستفيد

من التجربة اليابانية التي رفعت شعار «أخلاق الشرق وعلوم وتكنولوجيا الغرب»، حفاظا على التراث والتماسا للقوة.

فى هذا الإطار الفلسفى للجمع بين الأصالة والمعاصرة، تعتبر تجربة دولة الإمارات نموذجا فى توطين القبائل. وقد تمكن الباحث من أن يلمس بوضوح الجهد الذى تبذله الدولة فى توطين القبائل وتحقيق الاستقرار والاستمرار لها.

ومن الصعب على المؤرخ أن يضبط مصادر المعرفة ذات العلاقة بهذا الموضوع، نظرا لندرة الكتابة فيه وللحاجة إلى مصادره الشفاهية، بهدف رصد التغيير الاقتصادى والاجتماعى الرائع، الذى طال القبائل فى مواطنها فى قلب الصحراء. وفى مواجهة القصور فى المادة التاريخية المسجلة، فقد لجأ الباحث إلى المصادر الحية لما لديها من صور عن الحياة فى الماضى، تحتزنها الذاكرة الحية لرجال من الشيب، لا يزالون يتذكرون قسوة الماضى وروعته فى آن واحد، ولا يزالون يتدارسونه فى مجالسهم الخاصة، فى صورة روايات شفوية، استطاع الباحث أن ينهل منها لاستكمال صورة الواقع الذى غاب عن التسجيل فى الوثائق الرسمية.

ولا يجب أن ينتابنا الشك أو القلق حول طبيعة الروايات الشفوية أو مصادرها، أو النزعة التى قد تنتاب روايتها؛ ذلك أنها جميعا تخضع للمنهج العلمى فى الكتابة التاريخية، من حيث مصادرها ومحتواها، ومقارنتها ببعضها من ناحية، ومقارنتها بالمعلومات المسجلة من ناحية أخرى. ولا مفر من توظيف الروايات الشفوية فى نقل الأفكار التراثية، والصور الاجتماعية، والأوضاع الاقتصادية، واللقطات التاريخية، فى بيئة كانت تفتقر إلى التسجيل والتوثيق. فالتسجيل والتوثيق يُعنى عادة بالمواقف الرسمية فقط، إذا توافر فى المجتمعات القبلية أصلا.

وبهذا يتأكد أن الروايات الشفوية أصبحت مطلبا ملحا فى الكتابات التاريخية المعاصرة، وبخاصة فى الجوانب التراثية والاجتماعية، التى تُعنى بالحياة اليومية للناس وبطبيعة أعمالهم، وعلاقاتهم ببعضهم البعض. بل إن توظيف الروايات الشفوية أصبح منهجا جديدا تهتم به الجامعات الحديثة فى مباحث علم التاريخ وعلم الاجتماع، وقد نشأت له فى الغرب مراكز بحثية متطورة. وإدراكا منا لقيمة الروايات الشفوية، لجأ الباحث إلى المصادر الحية حيث هى، فى مواقع معيشتها، بعضها لا يزال يعيش فى الصحراء، والبعض الآخر يعيش على هامشها، والأغلبية تستمتع بالحياة فى المدن الحديثة. وتأتى قيمة المصادر

الحية من أن معظم من التقاهم الباحث قد تجاوز الستين من العمر، وهو ما يجعلهم شهوداً على عهدين، اصطلاحاً على تسميتهما كما يلي :

الأول: عهد الشقاء، أو عهد ما قبل زايد، أى عهد ما قبل ٦ أغسطس ١٩٦٦م.

والثانى: عهد الرخاء، أو عهد زايد، أى عهد ما بعد ٦ أغسطس ١٩٦٦م.

والعهدان يشكلان مرحلتين مختلفتين تماماً، اقتصادياً واجتماعياً. وقد أثبت هؤلاء الشهود من خلال مقابلاتنا معهم قدرة رائعة على تصوير العهدين وإبراز أهم ملامحهما، وذلك من خلال معاشتهن للعهدين معايشة حقيقية، ومن خلال إدراكهم ووعيهم بالفروق الكبيرة والجوهرية بينهما، وهى الفروق التى مكنتهم من إبراز أوجه التقابل بينهما.

وقد سعى الباحث إلى هؤلاء الشبيبة حيث هم، فى مواطن إقامتهم، فى مناطق مختلفة من إمارة أبوظبي. وسجل بالصوت والصورة، كما سجل كتابة لقاءاته بهم، وتجاوز معهم حول مختلف التفاصيل التى أوردتها المصادر والمراجع على قلتها، وتثبت من صحة ما ورد فيها، وأضاف إليها ما سقط منها. ولذلك فإن اللقاءات الشفوية التى أجراها الباحث، هى فى الواقع مجموعة من الوثائق الشفوية الحية، التى ندرك قيمتها من خلال دراستنا لتاريخ القبائل فى مناطق أخرى من شبه الجزيرة العربية.

* * *

وقبيلة العوامر، التى هى محل الدراسة، واحدة من القبائل دائمة الحركة، أو شبه المرتحلة، شأنها فى ذلك شأن كافة القبائل المهاجرة، فى محاولة لتكييف نفسها مع المواضع الجديدة، التى سعت للإقامة فيها أو الترحال حولها؛ فمن استقر منهم فى المناطق الجبلية من إقليم عمان الجنوبى (سلطنة عمان الآن) صار حضراً يعمل بالزراعة. ومن ارتحل منهم بين إقليم عمان الجنوبى وإقليم عمان الشمالى على حافة الربع الخالى (دولة الإمارات العربية المتحدة الآن) صار من سكان الرمال بدواً، وهم عوامر أبو ظبى فى دولة الإمارات العربية المتحدة،^(١) التى هى جزء من إقليم عمان الكبير، بمفهومه الجغرافى. وبصفة عامة

(١) محمد متولى، محمود أبو العلاء، جغرافية الخليج، ص ١٦٤. ويبدو أن عوامر سلطنة عمان، أو إقليم عمان الجنوبى، هاجروا إليه قبل عوامر منطقة الوسط، أى عوامر الرمال فى دولة الإمارات العربية المتحدة، فوضع الأوائل أيديهم على مناطق خصبة فى عمان، ساعدتهم على الاستقرار والعمل بالزراعة والحرف الأخرى ذات الصلة. أما عوامر الإمارات العربية المتحدة، الذين وفدوا إلى المنطقة متأخرين، فلم يعرفوا الاستقرار إلا على عهد الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، وفى ظل الدولة الحديثة التى أسسها. محمد متولى، محمود أبو العلاء، جغرافية الخليج، ص ١٧٠.

يمكن القول إن القبائل الإماراتية في معظمها أفخاذ من قبائل إقليم عمان. وسوف ينعكس ذلك على كافة مظاهر أوضاعها السياسية والاجتماعية، وقد ظهر ذلك بوضوح في محاولات رسم الحدود الداخلية بين الإمارات المتصالحة وبعضها قبل إقامة دولة الإمارات العربية المتحدة في عام ١٩٧١م، وبين دولة الإمارات وجيرانها بعد الاتحاد، فهي حدود تقوم في الأصل على أسس قبلية. ومن ذلك تخطيط الحدود في منطقة البوريمي، التي ظلت تُتداول أكثر من عشرين عاما في المحافل الدولية، وقد كانت مشكلة قبلية في المقام الأول، وإن بدت في ظاهرها نزاعا حدوديا بين دول ثلاث، هي السعودية وأبو ظبي وعمان.

وإذا كان للجغرافية أن تفسر التاريخ؛ فإن مرتفعات عمان، وهي قلب عمان ومصدر الثراء فيه، تشد القبائل إليها. وكذلك فإن إقليم البحرين التاريخي، الذي تعتمد الحياة فيه على البحر والصحراء، يشد القبائل إليه من الجهة الأخرى. ونتج عن ذلك أن اجتذبت مرتفعات عمان بعض بطون القبائل، ومنها فرع قبيلة العوامر الحضر، الذين يقيمون في جبل العوامر بمنطقة الشرقية بعمان.

أما فرع قبيلة العوامر في إمارة أبوظبي فيتجولون بالقرب من واحة البوريمي، التي تقع عند سفوح مرتفعات عمان، وهي منطقة تختلط فيها القبائل. والشئ نفسه يقال عن باقي المناطق الحدودية بين عمان والإمارات، ومع ذلك فقبائل الإمارات، شأنها شأن قبائل إقليم البحرين الساحلي، قبائل عدنانية في معظمها تعتنق المذهب السني، بينما القبائل العمانية قحطانية في معظمها وتعتنق المذهب الإباضي.

وواحة البوريمي التي تعتبر أشهر منطقة في الظهير الخلفي لدولة الإمارات العربية المتحدة، كانت تعرف قديما باسم «سهل الجو»، كما تعرف كذلك باسم «توام»، وتقع في الطرف الشمالي لمنطقة الظاهرة القريبة من سفوح جبال الحجر الغربية، التي تمتد في عمان^(١).

وتعتبر واحة البوريمي موقعا داخليا منعزلا، يقع عند مفترق الطرق التي تصل ساحل الإمارات بداخل عمان. وكانت منطقة البوريمي تتألف من تسع قرى صغيرة، تتجمع على هيئة مثلث قاعدته نحو ستة كيلومترات وارتفاعه عشرة كيلومترات. وكانت قرية البوريمي

(١) محمد مرسى عبد الله، دولة الإمارات العربية المتحدة وجيرانها، ص ٢٢١؛ محمد حسن العيدروس، التطورات السياسية في دولة الإمارات العربية المتحدة، ص ١٤٣، ١٤٤.

أكبرها جميعا، مما جعل اسمها يتغلب على بقية الأسماء. وقد قسمت هذه القرى بين عمان وأبوظبي، إذ صارت سبع منها تقع في داخل حدود إمارة أبوظبي، بينما تقع الأخرتان في داخل حدود عمان، ومنها قرية البوريمي نفسها^(١).

وقد وجدت قبائل الإمارات نفسها موزعة بين عناصر الجذب الإقليمي، أي بين إقليم عمان (الجبلي) وإقليم البحرين (الساحلي). وكانت البوريمي ملتقى القبائل جميعها. ونظرا لأنها تقع عند أطراف الحدود، فقد تبدل ولاؤها بين الحين والآخر، تبعا للظروف السياسية والاقتصادية والمذهبية، إلى أن استقر بشكل نهائي داخل الحدود السياسية التي جرى رسمها مؤخرا. ولكن الأمر لم يكن بهذه السهولة، فقد عانت في مرحلة ما قبل قيام دولة الاتحاد من الانقسام السياسي، إذ انضم بعضها ومنهم العوامر إلى حلف بنى ياس، الذي يتركز في واحة البوريمي وإقليم الظاهرة، ويحتفظ بصداقة سلطنة عمان، وهم هناوية. أما حلف القواسم فيضم الشارقة ورأس الخيمة وعجمان وأم القيوين ويحتفظ بعلاقات وطيدة مع الدولة السعودية، وهم غافرية.

وكما أشرنا في المقدمة يصطلح العوامر في أبوظبي على تقسيم تاريخهم إلى مرحلتين: المرحلة الأولى: مرحلة الشقاء، وتمثل الفترة السابقة على وصول الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان إلى الحكم، في عام ١٩٦٦م. وكانوا خلالها «عربا يرعون الإبل والغنم، في حالة تنقل دائم» سعيا وراء الكلاً، الذي يطعمون به ماشيتهم. ولا يجب التقليل من أهمية هذا النشاط، الذي يعتمد الرعى أساسا لمختلف أنشطة الحياة اليومية الأخرى؛ إذ إن الماشية التي يمتلكها البدوي في مجتمع غير مستقر هي كل رأس ماله، فهو إن دبر لماشيته طعاما جيدا، أطعمته هي بالضرورة طعاما جيدا من لحومها وألبانها، وكسَاءً جيدا من صوفها وأوبراها. وأكثر من ذلك إنه يستطيع أن يتاجر فيما يفيض عن حاجته، من رؤوس القطعان^(٢).

المرحلة الثانية: مرحلة الرخاء، ويقصدون بها الإشارة إلى الفترة التي تبدأ بحكم زايد في عام ١٩٦٦م، وإلى الآن. إذ إنها تشكل نقلة نوعية في حياتهم. فالعوامر أخذوا في

(١) عبد المنعم عبد الوهاب، جغرافية العلاقات السياسية، ص ٣٤٦، ٣٤٩.

(٢) لقاء بين الباحث ومحمد بن ركاض شسيخ العوامر في منزله بالبحر يوم ٢٥ / ١١ / ٢٠٠١م؛ لقاء بين الباحث ومحمد الشرقي العامري في الزعلة يوم ٢٥ / ١١ / ٢٠٠١م.

الاستقرار بتشجيع من الشيخ زايد، الذي كان له اهتمام خاص بالزراعة، فأخذ يوزع عليهم المزارع والبيوت، التي أقامها لهم بالقرب من تلك المزارع، في منطقة العين وليوا ومدينة زايد، وغيرها^(١).

وتقطن قبيلة العوامر بصفة أساسية في إمارة أبو ظبي، في منطقتي الختم^(٢) والظفرة^(٣) حيث يشاركها في المنطقة الأخيرة المناصير والظواهر والمزاريع، وهؤلاء جميعا هم حلفاء بني ياس الهناوية، وهم جميعا من سكان إمارة أبوظبي. والعوامر من القبائل التي تعيش في المناطق الداخلية، كما هو الحال في واحة العين وضواحيها، في المويجعي والجيمي وفي المناطق القريبة منها، مثل: الوقن، والعقير، والغنيمة، وأبوهافة، وأم الزمول، وقيسولة، وبطحه، وأبو الجريد، والسويتية، واللحمة، والحضيب، وأم البنادق، والقسيس، وبن حابر، وسليم، وفاضية، وعروق الشيبية، وموافقة (زاخر حالياً)، ودرب الحوز، والخزنة، والختم، والقرين، والنقرة، وسويحان، وبدع سلمى، والعشوش، وبدع المغنى، والهير، والزعلة، والساد، واليحر، وأبو سمرة، ورماح، وبدع، العيم، وبو أرطاه^(٤). وإذا كان العوامر يقيمون في السابق في منطقة العين وضواحيها^(٥)، فإنهم اليوم يقيمون إلى

(١) لقاء بين الباحث ومحمد بن ركاض شيخ العوامر بالبحر يوم ٢٥ / ١١ / ٢٠٠١م.

(٢) منطقة الختم على شكل (نصف دائرة مركزها العين) ويبلغ متوسط قطرها ما يزيد على مائة كيلومتر، وبها كثبان رملية، وتنمو بها أشجار الغاف والأرطى والغض، التي تقتات الحيوانات على أوراقها، وتكتسى سهولها بالحشائش عقب سقوط الأمطار، وبها عدد من الآبار العذبة، ولهذا أصبحت أراضيها ملتقى للقبائل الرحل من النعيم والمناصير وبني ياس (والعوامر) وتهجرها القبائل وقت الصيف.

(٣) الظفرة منطقة رملية حمراء (الحمرة) تنبت فيها شجيرات الأرطى والحضى، وبعض الأعشاب الفقيرة عقب سقوط الأمطار، وهي الديرة الرئيسية للمناصير، وشاركها بعض جماعات بني ياس، ومنهم العوامر. محمد متولى، جغرافية الخليج، ص ١٧٤.

(٤) لقاء بين الباحث ومبارك بن عصيان في الساد في ٢٥ / ١١ / ٢٠٠١م؛ ولقاء بين الباحث ومحمد الشرقي في الزعلة في ٢٥ / ١١ / ٢٠٠١م.

(٥) يضيف محمد الشرقي أن العوامر قبل النفط والاستقرار كانوا موجودين في المناطق التالية:

المنطقة الغربية: الجسيس، اللحمة، بن حابر، سليم، فاضية، بوهافة، الحمرة، الرياض، عروج الشيبية، أم الزمول غرب، جيسولة، بطحة، بو الجريد، السويتية.

المنطقة الشرقية: العين، بوهمة، القرين، النقرة، سويحان، بدع سلمى، بدع مقنى، الخصب، الهير، الختم، الزعلة، الساد، اليحر، أبو سمرة، رماح، بدع العيم، بو أرطاه.

جانب ذلك فى مدينة بنى ياس ومدينة زايد^(١). ويسكن نفر قليل من العوامر فى إمارة دى بالقرب من الحدود مع أبوظبى وهم من الحبانين^(٢). وأصبحت المناطق التى كان العوامر يقيمون بها فى السابق، مفتوحة أمام كافة القبائل فى ظل الدولة الحديثة، لتقطن فيها فى إطار مجتمع مستقر ومتداخل. ولم يعد للعوامر مناطق محددة تخصهم كما كان الحال من قبل، إذ إنهم تداخلوا مع القبائل الأخرى فى نسيج اجتماعى جديد، حققته فلسفة زايد فى إطار دولة الاتحاد^(٣).

يقول سهيل بن مبارك العامرى: كنت وأخى حمد أسرتين فقط من العوامر، نقيم فى فصل الشتاء متنقلين بين سويحان والشط ونصاحة والرايفة والنمشلة، وخرايج بوحلف. أما فى فصل الصيف فكنا نذهب إلى الجيمى والعامرية والقطارة بالقرب من العين. وكنا الأخوين العامريين الوحيدين فى منطقة سويحان طرف بنى ياس^(٤). ويضيف سهيل إن بعض العوامر من بيت الخالص هم عوامر من فخذ آل خميس، وهم من لز، ويسكنون فى السمحة على طريق أبوظبى - دى. ويسكن الهير على طريق العين - دى عوامر من فخذ الحبانين. ويلاحظ الباحث أن العوامر يشعرون بالامتنان لبنى ياس، وخاصة آل نهيان. فهم يرددون أنهم وآل نهيان من أصل واحد، ويتفاخرون بذلك فى كل مجلس، ويدعون لزايد بالخير، لأنه شملهم بخيراته الكثيرة، وهم يدينون له بالفضل فى ما هم فيه من نعم^(٥).

يقول سالم بن رصاص العامرى: إن العوامر كانوا يقيمون فى مرحلة البداوة فى منطقة الجيمى بالقرب من العين، وفيها منطقة تسمى العامرية نظراً لإقامة العوامر فيها، وقد اصطحب سالم بن رصاص العامرى الباحث فى زيارة إلى حيث كان يقيم فى بيت من العريش. ووقف أمام أحد البيوت التى بنيت فى السبعينيات وقال فى هذا المكان كان بيتى من العريش، ثم أشار إلى موضع البئر الذى كان نساء العوامر يستخرجن منه الماء، حيث لا تزال آثاره موجودة^(٦).

(١) لقاء بين الباحث ومحمد بن ركاض فى البحر فى ٢٥ / ١١ / ٢٠٠١م.

(٢) لقاء بين الباحث ومحمد بن سالم فى زاخر فى ٤ / ١٢ / ٢٠٠١م.

(٣) لقاء بين الباحث ومحمد الشرقى فى الزعلة فى ٢٥ / ١١ / ٢٠٠١م.

(٤) لقاء بين الباحث وسهيل بن مبارك فى سويحان فى ٦ / ١٢ / ٢٠٠١م.

(٥) لقاء بين الباحث وسهيل بن مبارك؛ لقاء بين الباحث ومحمد الشرقى فى الزعلة فى ٢٥ / ١١ / ٢٠٠١م.

(٦) لقاء بين الباحث وسالم بن رصاص فى ٢٩ / ١١ / ٢٠٠١م.

وإلى منطقة القطارة القريبة من العين كان بدو العوامر يلجأون ليستظلوا بنخيل واحة القطارة الكثيف من شمس الصيف الحارقة، شأنهم في ذلك شأن القبائل الرحل الأخرى، كما كانوا يلجأون إلى منطقة المسعودى القريبة من العين والغنية بأشجار الغاف والعبل والرمث. وكان بها آبار يجرى سحب المياه منها عن طريق الثيران. وكانت كثافة الأشجار تشجع على الإقامة فيها، لولا ذلك الاعتقاد السائد بأن الحمى تنتشر فيها^(١). وكانوا يلجأون كذلك إلى مناطق شرق المربعة، والهيلي، وسيح بن عمار، وسويحان، وأبوسمرة، والهير. وهكذا كان العوامر ينتقلون شتاء في مناطق الرمال حيث المراعى الغنية في أعقاب سقوط الأمطار، ويستقرون صيفا في مناطق الواحات تحت الأشجار الكثيفة.

وكان عدد المقيمين في واحة البوريمي يزداد من تسعة آلاف إلى اثني عشر ألفا في فصل الصيف، وتنجم هذه الزيادة عن هجرة البدو من المناطق الداخلية، وكذا هجرة سكان السواحل إليها. ويساعد على كون الواحة منطقة استقطاب أن فصل الصيف هو فصل نضوج ثمار النخيل وجمعها، مما يفتح باب فرص العمل أمام البدو، ويهيئ لهم بيئة مناسبة للهروب من حرارة الصحراء ورطوبة السواحل^(٢).

وقد اهتم الباحثون كثيرا باقتصاديات دولة الإمارات البحرية كالصيد والغوص على اللؤلؤ، ولكن اقتصادياتها البرية لم تنل ذات الاهتمام. ويحاول هذا البحث أن يسلط الضوء على حياة العوامر الاقتصادية، في محاولة لرسم صورة متكاملة لاقتصاديات المجتمع الطيباني حتى وقت قريب. وفي هذا السياق يتفق العوامر على أن حياتهم في الماضي كانت تقوم على أربعة موارد أساسية:

المورد الأول: صناعة الرعى، وهو مهنة العوامر الأساسية.

المورد الثاني: صناعة الزراعة، وخاصة النخيل والحبوب كالبر والشعير والذرة والقمح.

المورد الثالث: صناعة الصيد والغوص للبحث عن اللؤلؤ عند الضرورة^(٣).

المورد الرابع: صناعة النقل (الكريات).

(١) لقاء بين الباحث وسالم بن رصاص بالعين يوم ٢٩ / ١١ / ٢٠٠١م.

(٢) محمد حسن العيدروس، التطورات السياسية في دولة الإمارات العربية المتحدة، ص ١٦؛ عيد المنعم عيد الوهاب، جغرافية العلاقات السياسية، ص ٣٤٩.

(٣) لقاء بين الباحث ومنصور بن سالم بن نهيبة العامري في زاخر يوم ٤ / ١٢ / ٢٠٠١م.

والواقع إن قبائل الإمارات لم تكن تنفرد في الماضي بمراع خاصة بها، بل كانت المراعى مشاعا بين القبائل إلى درجة تكاد تقضى على مفهوم ديرة القبيلة. ولا سيما فى سهل الظاهرة والسهل الحصى، حيث كانت المراعى غنية. ومعظم مراعى القبائل كانت فى الغالب بجوار مناطق الاستقرار الزراعى. وهو ما فرض نوعا من العلاقة بين أهل البادية وأهل الواحات المستقرين. كذلك فإن المراعى وحدها لا يمكن أن تكفى لاستقطاب القبيلة، فلا بد من توافر المياه كذلك. ولذلك فإن مسألة السيطرة على الآبار، بل وادعاء ملكيتها إنما هو مسألة حيوية للقبائل. وكثيرا ما كانت تقوم المنازعات حول آبار المياه، ولكن العرف جرى على أنه فى أثناء فصول الجفاف يجرى تقنين استعمال المياه للإنسان والحيوان، ومع ذلك فلا تمنع المياه عن القبائل الأخرى، التى قد تضطرها الظروف إلى الهجرة إلى ديرة قبيلة ما^(١).

وكما هو واضح فإن حرفة العوامر الأساسية هى الرعى، التى فرضتها طبيعة حياتهم البدوية المرتحلة، ولكنهم انشغلوا منذ قدومهم إلى منطقة العين وما حولها بتربية الحيوانات، خاصة الجمال والماعز، شأنهم فى ذلك شأن قبيلتى المناصير والمزاريع والنعيم. ويختلف العوامر عن نمطين آخرين من القبائل البدوية التى كانت تقطن المنطقة المعروفة الآن بدولة الإمارات العربية المتحدة. النمط الأول هو نمط القبائل التى تنتقل تنقلا فصليا بين أعلى الجبال والسهول المجاورة مثل قبيلة الشحوح وقبيلة الحبوس. والنمط الثانى، تمثله القبائل شبه الرحل، وهى التى تجمع بين البداوة والاستقرار، ويمثلها معظم القبائل الإماراتية. وهذه القبائل كانت تسكن بالقرب من الواحات فعملت بالزراعة والرعى معا، ومن هذا النمط قبيلة العوامر وبنى قتب، وبعض فروع قبيلة النعيم من الخواطر، وبعض القبائل المنضوية سابقا تحت لواء القواسم.

ويلاحظ أنه إذا وجد المرعى والماء وجد العوامر منتشرين حول مجموعة من أنصاف الدوائر المتتالية، التى تتخذ من العين مركزا لها، إذ يتواجدون فى مراعى الختم والحمرة والرباض والظفرة، ويمتد نشاطهم إلى السهل الحصى من البورىمى إلى رأس الخيمة، وهو من أغنى المراعى فى دولة الإمارات العربية المتحدة، ولذلك يعد ملتقى للقبائل الرحل، ففيه

(١) معهد البحوث والدراسات العربية، دراسة مسحية شاملة، ص ٥٥٢.

يلتقى العوامر بينى قتب والغفلة^(١). وقد دفعت الحاجة لتأمين المياه لقطعان الهوش (الجمال) والبوش (الأغنام والماعز) إلى أن يحرص العوامر على علاقات طيبة مع القبائل الأخرى، وذلك بالتعاون معهم فى حفر الآبار التى يجرى توزيع مياهها بين القبائل لترتوى وقطعانها. وفى سبيل البحث عن المرعى تتسقط القبيلة أخبار المرعى من الطوافين، فإذا ما تبين لها وجود مرعى جيد انتقلت إليه، وبعد أن تأخذ حاجتها من هذه المنطقة وتلتهم مراعيها تنتقل إلى أخرى. وكانت الادعاءات المتقابلة بملكية المرعى من قبل القبائل المتنافسة هى المحرك الأساسى للحروب أو الصراعات القبلية. قبل تنامى السلطة المركزية، وتكوين الدولة الحديثة. وقد كانت المناطق الأساسية التى يتجول فيها البدو فى الإمارات أربع، هى: السهل الحصى الداخلى؛ ومنطقة الختم؛ ومنطقة الظفرة؛ ومنطقة بينونة.

السهل الحصى الداخلى: ويمتد من جنوبى واحة البورىمى حتى الطرف الشمالى لإمارة رأس الخيمة، وفيه أغنى مراعى الإمارات، وفيه تتجول قبائل بنى قتب، والخواطر، والغفلة، والعوامر، وخاصة المنطقة المحيطة بالعين.

منطقة الختم: وهى على شكل نصف دائرة مركزها العين، ويبلغ متوسط قطرها ما يزيد على مائة كيلومتر، وبها كثبان رملية، وتنمو بها أشجار الغاف والأرطى والغض، التى تقتات الحيوانات على أوراقها، وتكتسى سهولها بالحشائش عقب سقوط الأمطار، وبها عدد من الآبار العذبة، ولهذا أصبحت أراضيها ملتقى للقبائل الرحل من النعيم والمناصير وبنى ياس والعوامر، وتهجرها القبائل وقت الصيف.

منطقة الظفرة: رملية حمراء، ويسمىها رجال العوامر «الحمرة»، وتنبت فيها شجيرات الأرطى والحصى، وبعض الأعشاب الفقيرة عقب سقوط الأمطار؛ وهى الديرة الرئيسية للمناصير، ويشاركها فيها بعض جماعات بنى ياس، ومنهم العوامر.

منطقة بينونة: رملية حمراء كالظفرة تنمو فيها شجيرات الأرطى والمرخ والعبل، وبعض الأعشاب الفقيرة عقب سقوط الأمطار، وهى مراعى مناسبة للإبل. وهى المرعى الرئيسية لبنى ياس، وقبائل أخرى، قليل منها من العوامر^(٢).

(١) شاكر خصباك، دولة الإمارات العربية المتحدة (د. م، دن، ١٩٧٨م)؛ لقاء بين الباحث ومبارك بن عسيان

العامرى، فى قرية الساد يوم ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠م.

(٢) معهد البحوث والدراسات العربية، دراسة مسحية شاملة، ص ٥٥٣.

وفى الصحراء المترامية الأطراف ، حيث كانت قطعان القبائل تتداخل ، جرى العرف على تمييز القطعان من بعضها بعلامات الوسم (الدمغ ، أو أثر الكى الظاهر على جلد الحيوان) ، التى يجرى الاتفاق عليها. ولتمييز قطعان هذه الإمارة عن تلك ، تُوسم (تُدْمَغ) الناقة على يمين الرقبة. ولتمييز قطعان القبيلة الواحدة عن الأخرى داخل نفس الإمارة ، تُوسم القطعان فى مكان آخر على يسار الرقبة ، وتسمى عند العوامر «الحنية والعمود» ، إضافة إلى علامة الثالثة تحت العين وتسمى «الدامع»^(١). وهناك وسم رابع يميز عشيرة عن أخرى داخل نفس القبيلة. وتأتى أهمية الوسم فى التعرف على الحيوان ، أو المطالبة بالحيوانات الشاردة أو المسروقة.

كانت قطعان البوش تقطت على نباتات صحراوية تنمو طبيعياً ، منها «الزهرة» وهى زهور صفراء اللون. ومنها «العنبدية» و«القصيصة» و«العنقودة» و«الخضمة» ، وجميعها من أنواع الحشيشة ، التى تنبت فى أعقاب سقوط الأمطار. ومنها «العبله» وهى شجيرات صحراوية ورقية تتحمل العطش. ومنها «الشنانة» وهى شبيهة بالعبله. ومنها «الحاذة» أشبه بالشنانة ، وكذلك «الرمثة»^(٢). وفى أوقات الجفاف الشديد التى يسميها البدو «الدهر» وهو موسم قاس ، يلحق الضرر بالبدو وقطعانهم ، ويدفعهم إلى الحركة الدائبة بحثاً عن الكأ والماء. وفى مثل تلك الأيام القاسية ، تأكل النوق شجيرات «الهرمة» و«الغاف» و«السمر»^(٣). أما البيطرة فكانت تتم بالكى ، فإذا كانت إصابة الحيوان فى البطن مثلاً ، يكوى موضع بالبطن ، وإذا كانت الإصابة بالرجل يكوى موضع بالرجل. وبالطبع لم يكن هناك أطباء بيطريون بالمعنى الحديث للكلمة ، وإنما كان هناك طب بيطرى شعبى ، فكل شخص فى القبيلة هو الطبيب لماشيتته. صحيح أن البعض كان أكثر خبرة ومهارة من غيره ، إلا أن الجميع كان قادراً على مواجهة مشاكل البيطرة والتعامل معها ؛ فحياة البدوى قائمة على اعتماده على سلامة حياة حيواناته.

(١) لقاء بين الباحث وطبيب على سليم العامرى ، بمدينة زايد ، يوم ٦ / ١٢ / ٢٠٠١م ؛ ولقاء بين الباحث وبخيت حمد السالى العامرى ، بمدينة زايد ، يوم ٦ / ١٢ / ٢٠٠١م ؛ ولقاء بين الباحث ومبارك على طويرش العامرى ، بمدينة زايد ، يوم ٦ / ١٢ / ٢٠٠١م.

(٢) لقاء بين الباحث ومبارك على طويرش العامرى ، بمدينة زايد ، يوم ٦ / ١٢ / ٢٠٠١م.

(٣) لقاء بين الباحث وبخيت حمد السالى العامرى ، بمدينة زايد ، يوم ٦ / ١٢ / ٢٠٠١م ؛ لقاء بين الباحث ومبارك على طويرش العامرى ، بمدينة زايد ، يوم ٦ / ١٢ / ٢٠٠١م.

ويتذبذب حجم القطعان طبقاً لمساحات المراعى وتذبذب المناخ، فهى تتكاثر فى الفصول ذات الأمطار الوفيرة ويتضاعف عددها. وفى سنوات المحل (الجفاف) يموت عدد من القطيع، أو يذبح. ويضطر أبناء البدو عند تناقص قطعانهم إلى ترك اقتصاديات البداوة والعمل أجراً فى القرى الزراعية، أو فى مناطق الصيد فى المدن الساحلية. أو لدى شركات النفط، أو التجار. ولكن القبيلة تظل حريصة على ديرتها، أى المنطقة الخاصة بها والتى لا يحق لغيرها من القبائل أن ترعى فيها إلا بإذن منها، وفى حالة كون طاقة المرعى كفيلاً بسد احتياجات قطعان جميع أفراد القبائل المتحالفة^(١).

ويعتمد اقتصاد القبائل البدوية على تربية الحيوانات، وتتنوع الحيوانات التى تقتنيها القبائل حسب المناطق التى ترعى فيها، فإذا كانت من القبائل التى تضرب فى أعماق الصحارى والمناطق الأكثر جفافاً، اهتمت بتربية الجمال (الهوش) وإذا كانت من القبائل التى تنتقل بين الواحات والأراضى الزراعية اهتمت بتربية الأغنام والماعز (البوش). أما الماشية فيقوم بتربيتها الزراع المستقرون. ونظراً لأن منطقة الختم والظفرة وبينونة أراض فقيرة بمياهها ونباتاتها، فقد حصر ذلك نشاط القبائل البدوية فى الرعى. ودفع القبائل، ومنهم العوامر بالطبع، إلى البحث عن عمل إضافى فى فترة الصيف^(٢).

ولذلك فمن النادر أن تكون اقتصاديات القبائل البدوية بالإمارات بدوية تماماً؛ فقد نشأت علاقات بين البدو وأهل الاستقرار لتحقيق مصالح مشتركة. كما أن أهل القرى، ملاك الأراضى، كانوا فى حاجة إلى الأيدي العاملة لاقتطاف ثمر النخيل فى فصل الصيف، وكان البدو خير معين على ذلك، إضافة إلى أن الواحات تكون فى وقت القيظ ملجأً للبدو. وفى الموسم نفسه يكون تجار اللؤلؤ فى حاجة إلى عمال للغوص. هذا فضلاً عن وجود تبادل تجارى بين البدو وسكان القرى؛ فالبدو فى حاجة إلى التمور والحبوب وبعض المحاصيل الزراعية الأخرى، وسكان القرى فى حاجة إلى الحيوانات الحية ومنتجاتها من الأصواف والجلود. كما أنهم فى حاجة إلى الحطب الذى يجمعه البدو الفقراء، أو السُخام (الفحم) الذى يصنع من الحطب. وقد ساهم العوامر فى كافة هذه الأنشطة^(٣).

(١) معهد البحوث والدراسات العربية، دراسة مسحية شاملة، ص ٥٥١.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٥٣.

(٣) المرجع السابق، ص ٥٥٣.

ويعد التنقل الدائم بحثاً عن المراعى من أهم مظاهر حياة البداوة، فالمكوث في مكان واحد للمرعى عادة ما يكون قصيراً. وتحدد فترات سقوط الأمطار على مناطق معينة هجرة البدو إليها. وتبدأ حركة البدو الشتوية من أواخر شهر نوفمبر حتى شهر مارس. أما الحركة الصيفية فتبدأ من أوائل شهر يونيو وتنتهى في نوفمبر، حين تعود القبيلة إلى منازلها الصيفية بالقرب من الواحات والآبار^(١).

وبالرغم من الحداثة التي لفت أركان دولة الإمارات، نجد بعض العوامر لا يزال يحرس على الحفاظ على التراث التقليدى، الذى كان يحياه الآباء والأجداد، ومع كون الحياة اليوم صارت أكثر يسرا في قلب الصحراء عما كانت عليه في الماضي، فقد صارت ممارسة الأنشطة الاقتصادية التقليدية التي عرفها العوامر أكثر يسرا كذلك، وذلك نتيجة إدخال الوسائل الحديثة في تربية هذه القطعان، ورعايتها بيئياً.

ويقدم محمد الشرقى شنوح العامرى، الذى يسكن أحد بيتين منعزلين وسط الصحراء في منطقة الطويسة القريبة من الساد، نموذجاً لأسلوب الحفاظ على التراث، وذلك بممارسة المهن والحرف التقليدية للبدو قبل مرحلة النفط، فلدى محمد بالقرب من هذين البيتين عزبة لتربية جمال السباق، التي يبلغ ثمن الواحد منها ما بين نصف مليون ومليونى درهم، وهو نشاط دعمه الشيخ زايد حفاظاً على التراث^(٢). ويرعى محمد الشرقى بنفسه مجموعة من الجمال والنوق، التي يمتلكها الشيخ زايد. وهو متمسك بالإقامة في عمق الصحراء بعيداً عن طرق السيارات، لأنه يرى أن مثل هذه المناطق الصحراوية النائية أكثر من غيرها نقاءً وملاءمةً لتربية جمال السباق وتدريبها^(٣).

ورغم عزلة بيتى محمد الشرقى وأخيه حمد في قلب الصحراء، إذ تبدو الحياة في الظاهر قاسية للغاية، إلا أنه أكد للباحث على أن كل احتياجاته من وسائل الحياة الحديثة، كالماء والكهرباء والتلفاز والهاتف، وغيرها متوفرة للجميع، أينما حلوا؛ فالدولة شملت العوامر كما شملت أبناءها بالعناية والرعاية وتوفير كافة احتياجات الحياة

(١) المرجع السابق، ص ٥٥٥.

(٢) تدعم الدولة الجمال الواحد بنحو مائتى درهم في السنة، ويمتد هذا الدعم ليشمل تربية الماعز، إذ تدعم الدولة كل عنزة بنحو خمسين درهماً. كما يشمل الدعم غذاء الحيوانات من الحشائش، إذ تدعم الدولة زراعة مساحات كبيرة من الحشائش والبرسيم.

(٣) لقاء بين الباحث ومحمد الشرقى، بالزعة، يوم ٦ / ١٢ / ٢٠٠١م

المعاصرة، دون أن يؤثر ذلك على طبيعة ممارسة البدو لحياتهم التقليدية السابقة فى تربية الحيوانات. وامتدت تلك العناية إلى المزارع الحديثة، التى تزرع فيها الخضروات لغذاء الإنسان، والحشائش لغذاء الحيوان. وفى هذا المجال وفرت الدولة كافة المعدات لحفر آبار المياه، وزودت المزارعين بالمضخات الحديثة لرفع المياه النقية من الآبار للشرب، وسقيا الحيوان، ورى النبات^(١).

وينتهج محمد بن سالم بن عنودة العامرى، الذى يقيم فى زاخر، والذى لا يزال يعيش حياة بدوية خالصة فى كل مظاهرها، النهج نفسه الذى يمارسه محمد الشرقى، فحين قام الباحث بزيارته ابن عنودة فى ٤ ديسمبر ٢٠٠١م (شهر رمضان) وجده قد افترش الرمال أمام منزله، حيث نصب خيمة، وجمع فيها شبيبة العوامر المقيمين فى زاخر حول النار، انتظارا لموعد الإفطار. كان الجوربيعا، وكانت البيئة بدوية فى كل تفاصيلها، عدا وقوف بضعة سيارات حديثة بالقرب من الخيمة. وراح ابن عنودة العامرى يحدث الباحث بكل فخر، فى حضور جمع من الشيب، عن أسلوب حياته كبدوى أصيل عاش فى الصحراء، وعن تربيته لقطعان الماشية^(٢). ويؤكد سهيل مسعود بن عصنة العامرى ما ذهب إليه كل من محمد الشرقى ومحمد بن عنودة من الحرص على حماية التراث البدوى، عملا بتوجيهات الشيخ زايد، ذلك البدوى، الذى أوصى بعدم التخلّى عن ثقافة حياة البداوة، برغم كل وسائل التحديث التى يقدمها للناس، «فقد جعلنا هذا نتمسك بما لدينا من قطعان الماشية ونرعاهما كما لو كنا لا نملك من موارد الرزق غيرها»^(٣).

ومع بداية عهد الاستقرار الذى تبنته أبو ظبى منذ بداية حكم زايد، تحول بعض العوامر عن الرعى إلى العمل بالزراعة، والحرف المساندة لها. فضلا عن أن بعضهم كان يعمل فى وظائف حكومية، كالعمل بالشرطة والأمن وقيادة السيارات لدى شركات النفط حديثة العهد بالمنطقة، وكذا أعمال الحراسة. ولم يستح أحد وقتئذ من ممارسة أى عمل طالما أن الحاجة تفرض عليه ذلك.

(١) لقاء بين الباحث ومحمد الشرقى العامرى، بالزحلة، يوم ٦/١٢/٢٠٠١م؛ لقاء بين الباحث ومحمد بن ركاض

العامرى، بالبحر، يوم ٢٥/١١/٢٠٠١م.

(٢) لقاء بين الباحث ومحمد بن سالم بن عنودة العامرى، بزاخر، يوم ٤/١٢/٢٠٠١م.

(٣) لقاء بين الباحث وسهيل مسعود بن عصنة العامرى، بزاخر، يوم ٤/١٢/٢٠٠١م.

يقول سهيل بن مبارك العامري: «عملت عسكريا لمدة ثلاث سنوات في شرطة أبو ظبي أيام الشيخ شخبوط، وكانت الحاجة هي الدافع للعمل في مثل هذه الوظيفة»، وهذا يعنى أن الخروج على المألوف من نمط الحياة البدوية كان يحدث فقط عند الضرورات التي تبيح المحظورات. ويضيف سهيل: «ثم عملت مرافقا للشيخ خليفة بن زايد ولي عهد أبو ظبي (رئيس الدولة الآن). كما عملت مع الشيخ محمد بن خالد آل نهيان». وبعد ذلك «عملت حارسا في البلدية»، ثم «مراقبا للأراضي البرية في بلدية العين»^(١).

وكما عمل العوامر في أعمال غير بدوية، على نحو ما رأينا، لم يترددوا في ممارسة أعمال تتعلق بالبحر كالغوص بحثا عن اللؤلؤ، إذ كان مبارك بن دحروج (أبو سهيل) غيص برغم كونه بدوى الأصل. وهذا يعنى أن بعض العوامر بدأوا منذ فترة مبكرة يتحولون تدريجيا عن بداوتهم إلى حياة أهل البحر، وإلى حرف أخرى، ربما كانوا يرفضونها من قبل. ولا شك أن البداوة لم تحل بين العوامر وبين أن يتكيفوا مع مختلف الحرف والوظائف، فكانوا يجيدون عملية جمع الحطب وبيعه خاما في الأسواق أو تصنيعه سخاما (فحما)^(٢).

وفى مجتمع الصحراء المترامية الأطراف، كانت وسائل الاتصال والنقل معدومة، إلا من الجمال التي يعرف عنها أنها «سفينة الصحراء»، إذ كان الجمل يحمل الرجل وطعامه وشرابه بما يكفى لطول رحلته. سواء أكان السفر لزيارة، أم لتجارة، أم لتبليغ رسالة. وفي مجتمع لا يعرف القراءة والكتابة، كان التواصل مباشرة بالضرورة، وكانت الرسائل شفوية. وكان نقل الرسالة الشفوية من مكان إلى آخر يستغرق وقتا طويلا، إذ تحكمه سرعة الجمل، وطبيعة الأرض التي يسير عليها، والظروف المناخية التي تتم فيها الرحلة. وفى كل الأحوال كان التنقل عبر الصحراء سفرا، ولذلك كان المسافر يزود نفسه ببندقية وذخيرة، كما يزود نفسه بالطعام والشراب. وإذا كانت أسواق العين وأبو ظبي وجزيرة دلمة هي الأسواق الرئيسية التي كان يتردد عليها أهل الصحراء لشراء احتياجاتهم الحياتية، فإنها كانت كذلك أسواقا لشراء البنادق والذخيرة^(٣).

(١) لقاء بين الباحث وسهيل بن مبارك العامري، بسويحان، يوم ٢٥ / ١١ / ٢٠٠١م.

(٢) لقاء بين الباحث وسهيل بن مبارك العامري، بسويحان، يوم ٢٥ / ١١ / ٢٠٠١م.

(٣) لقاء بين الباحث ومبارك على، بزاخر، يوم ٤ / ١٢ / ٢٠٠١م؛ لقاء بين الباحث وبخيت حمد السالى، بمدينة

زايد، يوم ٦ / ١٢ / ٢٠٠١م.

فى مثل تلك البيئـة؁ وفى ذلك الزمان؁ لم يكن النقل الجماعى معروفا بالشكل الذى نألفه اليوم؁ بل كانت هناك وسائل نقل بدائية؁ يتوفر عليها بعض العوامر فى موسم الخروج إلى الغوص فى فصل الصيف؁ وتسمى «الكريات»؛ إذ كانوا ينقلون النساء وأطفالهن فى رحلات من منطقة أبو ظبى الساحلية إلى منطقة العين الداخلية؁ حيث قرى العين والقطارة والمويجى والجيمى والمعرض؁ وذلك لحماية النساء والأطفال من أخطار قد تأتيهم من جهة البحر أثناء غياب الأزواج والشباب العاملين فى الغوص من ناحية؁ ولتيسير الحياة فى أماكن أقل رطوبة وأكثر ظلا من ناحية أخرى؁ فى مزارع العين توجد أشجار النخيل واللومى والرنارج واليوسفى والمأنجو والتين واللوز؁ ومن ثمرات هذه الأشجار يضمن الوافدون صيفا تلبية احتياجاتهم المعيشية من ماء وغذاء. وكانت هذه رحلات منتظمة إلى حد كبير وذات مواعيد ثابتة^(١). وكانت رحلة الذهاب من أبو ظبى إلى العين تستغرق نحو خمسة أيام على الأكثر؁ لأن قسوة الجو الحار ومعاناة الأطفال والنساء من الطقس فى رحلة الذهاب كانت تدفعهم إلى الهروب بسرعة من حرارة الشمس؁ نظرا لعدم وجود أشجار أو استراحات على الطريق. ويتولى العوامر من جديد أمر إعادة النساء والأطفال من العين وضواحيها إلى أبو ظبى عند انتهاء موسم الغوص وعودة الرجال. وكانوا يعدون لذلك قوافل أكبر عددا؁ إذ تتكون كل قافلة من عشرة إلى عشرين ناقة. وكانت رحلة العودة تستغرق خمسة عشر يوما على الأكثر؛ ذلك أن النساء كن يعدن محملات بالتمور وأنواع أخرى من الأغذية؁ وهى أثقال تجعل حركة القافلة بطيئة؛ فضلا عن أن رحلة العودة كانت تتم فى جو معتدل يشجع النساء والأطفال على الاستمتاع بقضاء وقت أطول فى الطريق^(٢). وقد جعل هذا من العين أكثر المناطق الخضراء فى أبو ظبى جذبا للسكان؁ بحيث يمكن القول إنها كانت العاصمة الحقيقية للإمارة؁ أو هكذا كان يتمنى زايد؁ إذ هى المنطقة التى يفد إليها أهل البحر وأهل الصحراء معا؁ بينما لا يخرج منها سكانها؁ فهى منطقة جذب لا منطقة طرد.

ومن أجل توطين البدو؁ وتحقيقا للأمن والاستقرار والعيش فى إطار حدود الدولة الحديثة؁ تعمل الدولة جاهدة على أن يتحول البدو إلى ممارسة الزراعة والحرف الأخرى

(١) لقاء بين الباحث و سالم بن رصاص العامرى؁ بقرية الساد؁ يوم ١٧ / ١١ / ٢٠٠٠م؛ على محمد راشد؁ دولة

الإمارات العربية المتحدة فى مجلة العربى؁ ص ٩١.

(٢) لقاء مع سالم بن رصاص العامرى؁ بقرية الساد؁ يوم ١٧ / ١١ / ٢٠٠٠م.

إلى جانب الرعى، فوزعت عليهم الأرض بالمجان، وحفرت لهم الآبار، أو أعانتهم على ذلك، وأمدتهم بالمضخات اللازمة لرفع المياه منها، وزودتهم بالبذور والشتلات وكافة الضروريات، فضلا عن منحة مالية شهرية، تشجيعا لهم على الاستقرار. ووضعت وزارة الإسكان وتخطيط المدن، خطة توطين البدو بالاتصال المباشر مع البدو أنفسهم، وتحديد مساحات من الأرض قريبة من مصادر المياه ومن مناطق إقامتهم، حيث تبنى لكل أسرة منزلا خاصا بها مزودا بكافة المرافق الضرورية. ومع أن التجربة كانت صعبة في البداية؛ إذ لم يكن من السهولة بمكان تحويل البدو المتنقلين إلى الحياة في مجتمع مستقر، إلا إنها نجحت إلى حد كبير. وبينما حرص كبار السن على الحفاظ على عاداتهم وتقاليدهم في العيش على طريقتهم بالقرب من البادية، جذبت المدن الحديثة العناصر الشابة للعمل في الوظائف والخدمات الحكومية.

ومن أولى البيوت التي بناها الشيخ زايد في عام ١٩٦٨م لتوطين العوامر، تلك التي لا تزال آثارها موجودة في منطقة اليحر، الواقعة على طريق العين - أبو ظبي، سكن العوامر منها نحو عشرين بيتا، لم يبق منها اليوم سوى أساساتها وسط مساحة صحراوية خالية إلى الشمال من مصلى العيد باليحر، ويجاورها مدرستان إحداهما للطالبات والأخرى للطلبة، وهما أقدم مدرستين في قرية اليحر. وعلى هذا النحو فإن اليحر تعد من مناطق العمران الجديدة، التي استحدثها شيخ العوامر محمد بن ركاض، إذ لم يكن بها عند بداية تعميرها قبل الستينيات من القرن الماضي بيوت دائمة، عدا أربعة فقط، وصار بها الآن (٢٠٠١م) نحو سبعمائة بيت. والشيء نفسه يقال عن منطقة الوقف^(١). ويمكن القول إن عقد الستينيات كان نقطة تحول رئيسة في حياة العوامر، إذ بدأوا يعيشون حياة الاستقرار في منطقة شرق اليحر بممارسة حرفة الزراعة، فقد تأسس فيها وقتئذ أربع مزارع، ثلاثة منها أقامها العوامر، هي: مزرعة سالم بن حمد بن ركاض العامري، ومزرعة محمد بن حمد بن ركاض العامري، ومزرعة حمدان بن سعيد بن سويلم العامري. أما المزرعة الرابعة فكانت ل: هيف بن غريب الأحبابي.

وفي إطار تشجيع البدو على الاستقرار وزعت الدولة المزارع على سكان منطقة اليحر، حتى بلغ عدد المزارع فيها (٢٠٠١م) نحو ثمانين مزرعة معظمها بيد العوامر، الذين

(١) لقاء بين الباحث ومحمد بن ركاض شيخ العوامر، باليحر، يوم ٢٥ / ١١ / ٢٠٠١م.

يشكلون أغلبية السكان^(١). وتعتمد هذه المزارع على ما يجرى في بعض الأودية الموسمية الصغيرة من مياه الأمطار حال سقوطها، ثم تجف في معظم أيام السنة. ومن قبل كانت وسائل استخراج المياه الجوفية تأتي عن طريق الأفلاج، ولكن هذه الوسيلة تقلصت منذ أوائل الخمسينيات، وأهمل الكثير من الأفلاج نظرا لتكاليف حفرها الباهظة. أما الوسيلة الأخرى لاستخراج المياه الجوفية فهي الآبار التي تحفر يدويا، وقد حفر سكان الواحات وبدو الصحراء مئات من هذه الآبار من أجل الشرب والزراعة. أما الوسيلة الثالثة فهي الآبار التي تحفرها الدولة آليا وقد توسعت فيها بشكل ملحوظ، باعتبارها من أساسيات التوطين والعمل بالزراعة^(٢). يقول قريع بن سالم بالروس العامري: «زايد أقرانا وأذرانا»، أى إنه بنى لنا البيوت والمزارع، وأقام لنا القرى، وبنى لنا الدكاكين، ووزعها علينا مجانا، وأمننا من خوف، كما قدم لنا دخولا منتظمة. والآن نحن ننعم بالنعم التي جاد علينا بها زايد^(٣).

كان الغوص بحثا عن اللؤلؤ العنصر الرئيس في النشاط الاقتصادي لسكان ساحل عمان الشمالى (الإمارات) حتى ظهور النفط، إذ كان يعمل بها نحو ٣٥٪ من نسبة المشاركين في هذه المهنة في المنطقة، ويعمل بها نحو ٨٥٪ من الأيدي العاملة في إمارات الساحل المتصالح^(٤). وساعد على الاهتمام بهذه المهنة قسوة البيئة على اليايس وجذب البر وشح الموارد، مما دفع الناس إلى البحر بحثا عن غذائهم، فضلا عن أن معظم مغاصات اللؤلؤ كانت تقع بالقرب من الساحل العماني في المنطقة المقابلة لإمارة أبو ظبي مباشرة^(٥).

وكان العوامر يذهبون إلى موسم الغوص بصحبة بنى ياس، وكانوا يفضلون مهنة الغوص على مهنة «السيب» (أى العمل في جر الحبال لإخراج الغواصين من القاع) لأنهم يعتبرون عملية «السيب» مهنة وضيفة. أما من لا تتوافر لديه خبرة الغوص فيسعى إلى تعلمها بنفسه، معرضا حياته للخطر رافضا العمل في مهنة أقل مستوى^(٦). وعند الضرورة القصوى كان بعض العوامر يعملون في السيب، على عكس ما ورد سابقا من أنهم يرفضون هذه

(١) لقاء بين الباحث ومحمد بن ركاض شيخ العوامر، باليحر، يوم ٢٥ / ١١ / ٢٠٠١م.

(٢) معهد البحوث والدراسات العربية، دراسة مسحية شاملة، ص ٥٣٦.

(٣) لقاء بين الباحث قريع بن سالم بالروس العامري، بزاخر، يوم ٤ / ١٢ / ٢٠٠١م.

(٤) عائشة على السيار، الأصول التاريخية والتطورات المعاصرة بين إمارات الساحل العماني، ص ١٥٢.

(٥) لقاء مع سالم بن رصاص العامري في قرية الساد يوم ١٧ / ١١ / ٢٠٠٠م.

(٦) لقاء مع سالم بن رصاص العامري في قرية الساد يوم ١٧ / ١١ / ٢٠٠٠م.

المهنة، فالضرورات تبيح المحظورات. وكان المحصول (اللؤلؤ) يقسم بينهم وبين راعى السفينة، وهم يعملون فى هذه المهنة فى الصيف والربيع، أما موسم الشتاء فيعودون إلى البر بحثا عن الأعشاب ورعى الماشية^(١).

وإلى جانب كل من الرعى والزراعة والكريات (النقل) والغوص، مارس العوامر الصيد كحرفة مفضلة، وهذه الحرفة تنقسم إلى ثلاثة أنواع:

الأول الصيد بالصقور، وينشط خلال فصل الشتاء فى الفترة من سبتمبر إلى مارس، وخلالها يصطادون بالصقور الأرناب والحبارى وغيرها، وفيها يتوجهون فى جماعات إلى مناطق الصيد على ظهور جمالهم إلى حيث الأراضى ذات العشب الطويل، التى يأوى إليها الأرناب البرية والطيور.

والثانى الصيد بالكلاب، ويمارس طوال العام، إذ يصطادون الأرناب البرية فقط، لأن الكلاب لا تصلح إلا لمثل هذا النوع من الصيد.

والثالث الصيد بالبنادق، ويمارس طول العام، فيصطادون الأرناب البرية والحبارى والكراوين وبوسولع (الوضيحى)^(٢).

وعلى الرغم من تنوع الأنشطة الاقتصادية لأبناء قبيلة العوامر على النحو الذى رأيناه، فقد أدى ظهور النفط إلى تغيير صور الحياة على أرض الإمارات تغييرا جوهريا، فتبدلت أنواع الأنشطة الاقتصادية، وبدأ الناس يتخلون تدريجيا عن المهن التقليدية الشاقة، ويتلمسون طرقا جديدة لحياة سهلة، كما بدأ شباب العوامر ينضمون إلى قوافل الوظائف الحكومية الجديدة.



(١) لقاء مع سعيد بن محسن بن بخيت العامرى فى قرية الساد يوم ٢١ / ١١ / ٢٠٠٠م.

(٢) الحبارى من أنواع الطيور البرية، بوسولع يشبه الغزلان ولونه أبيض كبير الحجم، وله قرنان طويلان. لقاء بين

الباحث وسعيد بن محسن بن بخيت العامرى فى قرية الساد يوم ٢١ / ١١ / ٢٠٠٠م.